في كأسها فليس إلا من قبيل التخمين . على أن حالة القيصرة لم تكن مجرد وعكة بسيطة لأن اناستاسيا كانت مريضة بشكل جدي وتتطلب معالجة بدون تأخير . ولم يكن الدفء وبقية أشكال العناية متوفرة في دير موزهيسك المتقشف القاسي خلال الشتاء . وكان القيصر الشديد القلق غاضباً الى أبعد الحدود . وكان نقص العناية الذي تعرضت له المريضة لحظة وقوعها في المرض سبباً في تفاقم حالتها التي أودت بها في السنة التالية الى الموت .

ومن العجيب الا تصل الينا عن مرض اناستاسيا أية تفاصيل حتى ولا عندما ادعى كوربسكي بعد بضع سنوات بأنها تعرضت للسم . ومما لا شك فيه أن الطبيب الإنكليزي ستانديش استدعي لمشاورته ولكننا لا نعرف عن ذلك شيئاً. أما القيصر فلم يكن يعتقد أنها ماتت بالسم. وكانت إصابتها الأولى قد وقعت في تشرين الثاني نوفمبر من عام ١٥٥٩ ولكنها ابلت نصف إبلالة من مرضها ثم ما لبثت أن تعرضت لنكسة خطيرة في تموز يوليه من عام ١٥٦٠ وبالمرض نفسه . وزاد في حالتها سوءاً تعرضها لرعب شديد إذ نشب حريق في الأرباط دفعته الريح الشديدة فانتشر مزمجراً مهدداً بتدمير المدينة كلها كما حدث في سنة زواجها . ووصل الدخان الى الغرفة التي كانت ترقد فيها واستطاعت أن تسمع زمجرة النيران وترى من النافذة انعكاس اللهب الأحمر حتى أصابتها هزة عصبية لم يستطع تهدئتها الكاهن ولا الطبيب . وبذل القيصر كل ما يستطيع ، فحملها بعيداً عن الخطر بأقصى سرعة حارساً محفتها حتى بيتها في قرية كوليمنسكو بالقرب من موسكو ثم عاد ليعمل مع كل حاشيته للسيطرة على الحريق . وقد نجح في ذلك على الرغم مما سببه الحريق من خسائر جسيمة .

واخيراً عاد الى اناستاسيا فلم يجدها قد هدأت بعد . كانت تهذي وتتخيل أنها ما زالت في وسط المدينة التي تلتهمها النيران . ولم يكن